كانوا كلهم يلهون ويطربون ويسترسلون الى الفرح والسرور . فمنهم من كان ينشد ويترنم بالالحان الوطنيَّة المعروفة عندهم ومنهم من كان يتمايل طرباً ويصفق بيديهِ ويخالف بين رجليهِ موقعاً رقصهُ على اصوات المزمار ورنّات النقر على الدفوف وقرع الطبول ومن الفرسان من كانوا يتبارون ويتسابقون ويعمدون الى اللعب المعروف " بلعب الجريد » الى غير ذلك من دواعي المسرَّة والطرب المألوفة في اعيادهم الاحتفاليَّة

ثم ينفرط عقد هذا الجمع بعد ان يأخذ كل منهم لعيالهِ قبضةً من التراب الذي هو حوالي المذبح وقليلًا من ماء البئر المحفورة بين تلك الآثار (التتمة للقادم)

الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

تحفُّنا الاسفار الكريمة (ابن سيراخ ٤٤) على « مدح الرجال النجباء ذوي الفضل والاقتدار الذين تخرَّجوا في أقوال الحكمة وانشدوا قصائد الكتاب ممَّن انشأ الربُّ فيهم مجدًا اثيلًا وأيدى على يدهم عظمتهُ منذ الدهر . فاجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤهم تحيا مدى الاجيال ». على اننا لا نشكُّ في انَّ المثلَّث الرحمة الطيِّب الذكر الشاعر المطبوع ارسانيوس الفاخوري احد هؤلاء الرجال الذين يستحقون مثل هذا الثناء لما جمعهُ في شخصهِ الكريم من سعة الفضل ونجابة العقل وسموّ المدارك وعلوّ الهمَّة . فذلك ما حملنا على تدوين شيء من اعمالهِ المبرورة وذكر تآليفه المشكورة التي احرزت لهُ بين مشاهير السوريين في عصرنا مقاماً ممتازًا . ولا نرى بدًّا في مقدّمة هذه النبذة الوجيزة من شكر آلهِ وانسبائهِ الافاضل لاسيما حفيد عمهِ الشاب الاديب والاستاذ البارع يوسف افندي الفاخوري لما تكرَّموا علينا بهِ من الافادات

١

ولد هذا الفقيد الجليل سنة ١٨٠٠ (١ في قرية بعبدا من ابوين فاضلين ورعين . وكان اسم جدّهِ ابراهيم (٢ واسم ابيهِ يوسف وولد ليوسف ثلاثة بنين سعد ويوسف

١) كذا افادنا جناب يوسف افندي الفاخوري . وفي العدد ٣٨٧ من جريدة المصباح انهُ ولد سنة ١٨٠١ . والله اعلم ٢) وابو ابراهيم يدعى يوسف كان يسكن بيروت فدعي لذلك بالبيروتيّ ولُقّب بالفاخوري لانَّهُ ضمن فواخيرها مدَّةً ثمَّ انتقل الى بعبدا

وفارس. واشتهر منهم يوسف فانهُ رقي الى درجة الكهنوت وخدم كنيسة بيروت زمناً طويلاً واشتهر فيها بتقواهُ وغيرتهِ وتراهتهِ قيل انهُ عُرضت عليهِ الاسقفيَّة فرفضها تواضعاً. وقد اوقف عند وفاتهِ كلَّ امواله على الكنيسة التي خدمها في حياتهِ. وكانت وفاة سعد الاخ الثاني سنة ١٨٥٩

اما فارس فكان اشهر لاخوتهِ واوسعهم فضلاً واغزرهم عقلاً وهو اسم الخوري ارسانيوس عُرف بهِ الى زمن كهنوتهِ. وظهرت على وجههِ ملامح الذكاء منذ صغرهِ فارسلهُ والدهُ سنة ١٨١١ الى مدرسة الرومية فبقي فيها مدة. ثمَّ أدخلهُ سنة ١٨١٤ مدرسة مار انطونيوس المشهورة بعين ورقا

وكانت عين ورقا في ذلك العهد اشهر مدارس لبنان كان انشأها في سنة ١٧٨٨ البطريرك الطيب الذكر يوسف اسطفان واخوهُ المطران الجليل بولس مع بقيَّة اسرتهما الفاضلة. وجعلوا لها من المعلمين كهنةً علماء كانوا تخرَّجوا في المدرسة الرومانيَّة فزهت مدرسة عين ورقا بالعلوم النحويَّة والمنطقيَّة واللاهوتيَّة مع تعليم اللغات الاجنبيَّة وما عتمت ان صارت بعد قليل من الزمان موردًا يتوارد ليستقي من ينابيعهِ الصافية اولاد الشيوخ والاعيان من كلِّ انحاء لبنان

ولمَّا دخل فارس تلك المدرسة انكبَّ فيها بكل نشاط الى درس العربيَّة بكلِّ فروعها والطليانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة والمنطق والفلسفة واللاهوت النظريّ والادبي والحقّ القانوني والشريعة المدنيَّة ونبغ بجميعها حتى اصبح ممَّن يشار اليهم بالبنان في عصرهِ

وممَّا تفرَّد بهِ درس التاريخين الديني والدنيوي. روي عنهُ انهُ كان يسرد حوادث الازمنة السالفة ببداهة عجيبة حتى انَّ من يسمعهُ كان يُخيَّل لهُ انهُ يقرأ كتابًا مطولًا بازاء عينيهِ لا انهُ يذكر ما استظهرهُ بالدرس وحفظهُ على ظهر القلب. وكان مع ذلك كلفًا باخبار العرب عالمًا بايامهم واعيًا لامثالهم يروي عن قدماء شعرائهم ما تيسَّر لهُ من القصائد. فجادت بذلك قريحتهُ واخذ ينظم الشعر الجيد السَّلس

الَّا انَّ حبَّ الشماس فارس للعلوم لم يصرف نظرهُ عن احراز الفضائل المسيحيَّة فكان يوطِّن نفسهُ على ضروب البرّ والصلاح ويتروَّض في سبيل التقى والورع حتى انَّ رؤساءهُ كانوا يعرضونهُ كمثالٍ لجميع الطلبة. ثمَّ انتدبوهُ الى التعليم سنة ١٨٢٤ في

مدرسة عين ورقا فوجدوهُ استاذًا حاذقًا يحسن تلقين العلوم لغيرهِ كما يرع هو فيها بنفسهِ. ومن تلامذتهِ غبطة السيِّد البطريرك السعيد الذكر بولس مسعد. قيل انَّ النقيد آخذ يومًا تلميذَهُ لبعض قصور صدر منهُ في دراسة امثولتهِ فقال لهُ أحد الكهنة الافاضل اسمهُ عبد الله: يا معلِّم فارس أهكذا توبِّخ من يصير يومًا بطريركًا على الطائفة المارونيَّة ؟ . وكان الخوري ارسانيوس يروي بعدئذٍ هذه الفكاهة ويتعجَّب من فراسة قائلها

وفي تلك الاثناء استأثر الله بنفس والدهِ يوسف فمات ميتةً صالحة في سنة ١٨٢٥ فقال ابنهُ فارس يرثيهِ وهي اول قصيدة بلغنا من نظمهِ:

ما في بنا هذي الديار خلودُ والى هيولاها الجسوم تعودُ

وهي طويلة نقتطف منها بعض ابياتها:

لا خير في الدنيا على الاكدار قد طُبعت نصفوًا كيف انت تريدُ
أفمن غراب البين تُؤمَّل نغمةٌ حسناء او من صوتهِ التغريدُ
فالدهر خدَّاعٌ يذلِّل بالمُنى واليك جحجم غائلًا ويكيدُ
قد كادني ورمى بسهم صائبٍ مَن منهُ لي في الكون تمَّ وجودُ
اشكو بعادك يا ابي وأودُّ لو انَّ المسبَّب البعاد بعيدُ
وابيك احسدُ من ينادي يا ابي يا ليت في هذا انا محسودُ
قد عاد بعدك مأنسي في وحشة وعلا سواند عيشتي التنكيدُ
ابكيك في اكلي وشربي نائحًا وانا بنوحي والبكاء فريدُ
كيف التصبر والتجلُّد والهنا يا حسرتي وسدى الفراق بعيدُ
ما لي عزاء غير تقواكَ التي مارستَها حتَّى سواك صيدُ
قد عشتَ في حبِّ الاله وحبُّهُ يومًا فيومًا فيك كان يزيدُ
لا شكَّ انك قد حظيتَ بغبطةٍ منهُ جزاء والنصيب سعيدُ

وبيَّ الشماس فارس في منصب التدريس سنتين الى ان اتَّصل خبرهُ بغبطة السعيد الذكر البطريرك يوسف حبيش فاستدعاهُ الى كرسي البطريركيَّة في بكركي ورقَّاهُ الى رتبة الكهنوت سنة ١٨٢٦ ودعاهُ باسم ارسانيوس. وكان بتولًا

٢

ورغب البطريرك المذكور ان يتولى الكاهن الجديد القضاء في جهات لبنان فوجَّههُ الى المطران جبرائيل الناصري وهو وقتئذٍ من مشاهير قضاة الجبل في ايَّام اصيله..

صورة الشاعر الشهير والكاتب الاديب
الخوري ارسانيوس الفاخوري

بيت المجد والشرف الامير بشير قاسم شهاب ليأخذ عنهُ الفقه. فاجاب الخوري ارسانيوس الى امر مولاهُ ودرس الفقه درساً تاماً حتى اتقن اصولهُ وادرك مشاعبهُ. ثمَّ استدعاهُ السيد البطريرك ثانيةً نحو سنة ١٨٢٧ واتخذهُ كاتباً لاسراره في بكركي فلزم الكرسي البطريركي ثلاث سنوات يخدم طائفتهُ بما عندهُ من الغيرة والنشاط لا تأخذهُ في اتمام واجباتهِ لومة لائم. ثمَّ طلب القاصد الرسولي السيد لوزانا (Losana) من غبطة البطريرك المذكور كاهناً تقياً عالماً يعرف جيداً اللغتين العربيَّة واللاتينيَّة ليتخذهُ لهُ كاتباً وترجماناً في شؤون القصادة. فصدر امر البطريرك الى كاتب اسرارهِ ليتحوَّل الى هذا المنصب الجديد فقام الخوري ارسانيوس بهذه الوظيفة احسن قيام مدَّة سنة حتى تعيَّن القاصد اسقفاً على بيالا (Biela) في ايطالية

ولمَّا دخلت سنة ١٨٣١ وانشأ الخوري عبد الله من آل اصاف الكرام مدرسةً جديدة في مار عبدا هرهريا. وكان قبل ذلك في هذا المكان دير للراهبات وهو يخصّ عيلة بيت اصاف فجعلهُ الخوري عبد الله برضى العيلة مدرسة عموميَّة. واستأذن غبطةَ السيد يوسف حبيش في استدعاء الخوري ارسانيوس الفاخوري ليدرّس فيها العربيَّة واللاتينيَّة فتقدَّم السيد البطريرك اليهِ بذلك فامتثل امرهُ وقال الاستاذ الجديد في تاريخ المدرسة :

أحسن بمدرسةٍ بدت نزدانةً بوشاح سعدٍ ثم خيرٍ شاملِ
رعياً لها ولسان تاريخي دعا يا ربِّ خلّدها بخيرٍ كاملِ

واحسن الخوري ارسانيوس في هذه المدرسة التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف. ومما يخبر انَّ تلاميذهُ حازوا جميعهم قصب السبق ونالوا الرُّتب الممتازة في لبنان منهم سيادة الحبر العالم المفضال يوحنَّا الحبيب مؤسس جمعيَّة المرسلين في الكريم والطيِّب الاثر الشيخ بشاره الخوري والخوري عبد الله العَقيقي الذي قضى في الجبل على ايام رستم باشا والخوري انطون حبيش والخوري فرنسيس زوين رئيس دير مار روحانا والدكتور غالب البعقليني وغيرهم الذين اشتهروا في زمانهم بمعرفة اللغات والآداب

ثمَّ قدم سنة ١٨٣٢ بلاد سوريَّة السيد الفاضل الشهير يوحنَّا المعمدان اوثرني (M^gr Auvergne) موفداً من قبل امام الاحبار بصفة قاصدٍ رسولي. فطلب الى

السيّد البطريرك يوسف حبيش ان يرجع الى كرسي القصادة الكاتب السابق فلبّى غبطتهُ طلبة القاصد وخدم المرحوم ٦ سنوات القصادة الرسوليّة بكل نشاط. وهو الذي عرّب المناشير التي ألّفها السيّد اوثرني وطبع منها قسماً في الشوير وقسماً في مطبعة طورسينا

وكان الخوري ارسانيوس يرافق القاصد الرسولي في اسفارهِ كلها ويتولى معهُ الارشاد والرياضات الروحيّة. ولمّا بلغ امر الكرسي الرسولي في سنة ١٨٣٦ السيد اوثرني يوعز اليهِ بان يذهب الى بغداد ويصلح خللاً وقع في كنائس تلك البلاد خرج معهُ الخوري ارسانيوس بيد انهُ ابتلي بمرض في اللاذقيّة فاضطرّ الى الرجوع الى لبنان

وتوفي بعد ذلك بقليل السيّد اوثرني في ديار بكر محامًا بالهواء الاصفر في ١٢ تشرين الاول سنة ١٨٣٦. وبقي الخوري ارسانيوس زمنًا معتزلاً عن الاشتغال في بيتهِ. بيد انّ كثيرين اخذوا يتواردون اليهِ ليتلمذوا لهُ ومنهم السيد ريشرد وُوْد (Wood) احد رجال الدولة الانكليزيّة وكان كاثوليكيًا ذا جاهٍ عظيم ونفوذ كبير تعلّم اللغة العربيّة عند الخوري ارسانيوس فاتقنها. وقد امتدح المعلم تلميذهُ بعد ذلك سنة ١٨٤١ بقصيدة عامرة الابيات اثنى فيها عليهِ لسعيهِ في مساعدة الدولة العليّة ونجاة سوريّة من الدولة المصريّة. وهذا مطلع القصيدة:

قمِ راحُ راحةُ الندماء تُجلى بكأس كُللت ببهاء

الى ان قال:

فتعطّرت انفاسنا منها كما قد عُطّرت بمديح ذي الآلاء
ريشَرد وُودٍ من علا بمناقبٍ وبلاغة وبراعة وذكاء
ندبٌ تسامى بالسجايا والحجى وبكلم جلّت عن الاحصاء

ومنها: ورعى الليُّ الربُّ ريشردَ الذي نجّى معاهدنا من الضرّاء
وافى وبحرُ الجود يطو طامياً متهيّجاً من ريحهِ النكباء
من مصر كان مهبُّها قربوعنا وديارنا بادت بذي الانواء
بل ارضنا غرقت بلجّ مياهِ اذ حولها دارت كما الارحاء
فافانا من لجّةٍ بجهادهِ وبهِ خرجنا من ثجيج الماء
فكانهُ موسى مخلّص قومهِ قد شتّت الاعداء في الصحراء
من ظلم مصر قد نجت اقطارنا بغريب فعل عن يدٍ بيضاء
وجنودهم ولّت لشدّة عزمهِ تبغي التخلّص من طلول دماء
والى اراضي مصرَ عادوا وانثنوا في خيبةٍ بل ذلّة وبكاء

وبقي السيد وُود مدّة في سوريّة تربطهُ والخوري ارسانيوس روابط الألفة والولاء.

ولمَّا استرجعتهُ دولتهُ الى انكلترة ابى ان يعود دون ان يشكر لاستاذهِ فضلهُ وقدَّم لهُ مبلغاً من المال يُدفع لهُ كراتب سنوي ما دام حيًّا وتوفاتهِ بعد وفاتهِ. فرفض الخوري هبتهُ لشرف نفسهِ وكرم طباعهِ. وقد سنحت الفرصة لهذا الرجل الشريف ان يمرَّ ببيروت منذ ثلاث سنوات فاحبَّ ان يفتقد استاذهُ القديم في لبنان ولمَّا علم بوفاتهِ بدت على وجههِ امارات الحزن وطلب ان يجتمع ببعض آلهِ الكرام ليبثَّ لهم ما انطوى عليهِ صدرهُ من عواطف المنَّة لمعلمهِ السابق. فلمَّا رآهم اخذ يبكي متأثرًا لمنظرهم وافاض امامهم بمديح الخوري ارسانيوس صديقهِ الحميم

وفي سنة ١٨٣٨ توفي قاضي نصارى لبنان المطران جبرائيل الناصري فلم يجد الامير بشير الشهابي الكبير رجلًا احقَّ بهذه الرتبة من الخوري ارسانيوس لما بلغهُ من علمهِ وفضلهِ فقلَّدهُ القضاء. وكان وقتئذٍ ديران القضاء في جونية فلمَّا اتاها المرحوم كان اول ما كتبهُ فيها تاريخًا لضريح سلفهِ الجليل ومعلمهِ النبيل المطران جبرائيل فقال:

حزتَ الفخار ايا ضريحُ ضمنتهُ حبرٌ امين بالجهاد أصيلُ
فقضى الاله لهُ بمجدٍ راسخٍ فهو من قاضٍ قضاهُ فضيلُ
بشراك فالمولى يقولُ هلمَّ يا عبدًا امينًا ساد وهو خليلُ
فلك الهنا مولاي بل ارَّختُها فقتَ الملا بشارة جبريلُ

واستمرَّ الخوري ارسانيوس يقضي في مركزهِ بكلِّ حقّ وعدل. وكان هذا الرجل البارّ لا يأخذ بالوجوه ولا يحابي احدًا في الحكم وينتصر للضعيف من القوي وللفقير من القدير حتى شاع فضلهُ في كلِّ لبنان. وكانت الدروز والمسلمون فضلًا عن النصارى يتحاكمون اليهِ ويرضون بما قضى لما يعلمون من استقامتهِ ونزاهة نفسهِ. وكان مع ذلك لا يحبُّ هذه المناصب الشريفة ويؤثر عليها العزلة وقد قال في ذلك قصيدة طويلة يصف فيها ثقل الرئاسة وحمل القضاء منها قولهُ:

يا طامعًا بلذاذ شربِ ولايةٍ في شرحها مرُّ المذاق قد اتَّصلْ
فيزلك الجاهُ الرفيعُ وانت لم تعلم بانَّ السمَّ في ذاك العسلْ
تولي السرورَ رئاسةٌ بفخارها لكنَّ فيها الغمَّ عاقبة الجذلْ
وعلى الخصوص أولو الولاية في القضا يتكبَّدون مكارهًا لا تُحتملْ
فلأنَّ من يُولَّى القضا كثرتْ بهِ اخصامهُ فيهِ استقام او انقتلْ
صدق المثال بانَّ نصف الناس اعداءٌ لذي الأحكام يومًا إن عدلْ

ومنها: إرضاءُ كلِّ الناس امرٌ مستحيلٌ في الدُّنى ضاقت بهِ كلُّ الحيلْ

فابن الاله بنفسه لم يُرضهمْ وهو الكمال بعينه يأري المِلَلْ
خذهُ مثال الصبر مقتدياً به فغدا مثالاً لا يحاكيه مثلْ
واصبر ولا تبأ بقدحٍ قد بدا من جاهلٍ او من حسودٍ قد عذلْ
فاريجُ عرف العدل يؤذي بالجهو لِ كما اريجُ الوردِ يؤذي بالجُعَلْ

وبقي الخوري ارسانيوس ثلاث سنين في منصب القضاء الى آخر عهد الامير بشير سنة ١٨٤٢ فلمَّا دعت الدولة السنيَّة ذاك الحاكم الشهير الى الاستانة مدحهُ الخوري ارسانيوس بقصيدة عامرة الابيات وذكر بنيهِ واسرتهُ الشريفة . ومطلع قصيدتهِ :

عُجْ يا مجدّا بالذهابْ وامشِ الهوينا بالركابْ

الى ان قال :

ما لذَّ لي من بعدهم أكلٌ ولا شربٌ شرابْ
فالرَّبعُ من هجرانهم ورحيلهم اضحى يبابْ
بالحيِّ قد حلَّ الدُجى وعلى الذرى نَعقَ الغرابْ
غابوا وغاب ضياؤهم وبدا الاسى عند الغيابْ

ومنها في مدح الامير بشير :

نورٌ توارى كيف لا وبهِ نأى ذاك الشهابْ
مولى امير ماجدٌ سامي الذرى عالي الجنابْ
قَرْمٌ بشيرٌ جهبذٌ والمجد منهُ في قبابْ
ليثٌ جسورٌ ضيغمٌ طامي الندى رحبُ الرحابْ
أورى بصارم عدلهِ م الاشرار في جوف التراب
وحوى سناء سامياً فسما بهِ فوق السحابْ
انجالهُ وبنوهمُ يبدون كالبحر العبابْ
كالشمس اضحى بينهم وهم البدورُ بنو الشهابْ

وطلب المرحوم ان يعتزل اشغال القضاء بعد ابتعاد وليّ نعمهِ فلم يقبل استعفاءهُ الاميرُ حيدر اللمعي خلفُ الامير بشير في ولاية لبنان وثبَّتهُ في منصبهِ واختارهُ سعادة الوزير اسعد باشا مشير ايالة صيداء وطرابلس ليكون عضوًا في مجلس المساوبات في بيروت في دعوى النصارى والدروز سنة ١٨٤٢ . ثمَّ عاد الخوري الى اعمال القضاء فقام باعبائها حقَّ القيام مدَّة اربع عشرة سنة الى ان حصل لهُ مرضٌ في عينيهِ فانتهز هذه الفرصة ليقدّم استعفاءهُ واحتجَّ بقصورهِ عن اتمام واجبات مهنتهِ فصُرف عن رتبتهِ عزيزًا مكرَّمًا سنة ١٨٥٦

٣

ومن ذاك الوقت أوى المرحوم الى بيته مع آله وتفرَّغ للتأليف والتصنيف وكان الناس يقصدونهُ في حلّ مشكلاتهم وفصل منازعاتهم . وكثيرًا ما كان الاشراف واصحاب الامر يطلبون مشورتهُ ويستعينون بمعارفهِ الجمَّة نخصُّ منهم بالذكر متصرّفي لبنان المرحوم داوود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا . والحَّ عليهِ الاول بقبول رتبة القضاء على كسروان فاحتجَّ بوجع عيونهِ . لكن ذلك الرجل الشريف وعدهُ بان يعيّن لهُ كتَّابًا يخفّفون عليهِ شغلهُ ويكتفي هو بالحكم فأبى وتملّص بعد الحاح الطويل من هموم هذا المنصب . اما سعادة رستم باشا فانهُ لم يكتفِ بزيارتهِ مرّتين في بيتهِ في غزير بل اعرب لهُ امام الجمهور عن اعتبارهِ السامي لشخصهِ الاثيل . وللخوري المرحوم قصيدة امتدح بها سنة ١٨٧٣ هذا المتصرف الخطير . مطلعها :

ابدت طلا الافراح بلّا مشارفا جلتها لنا البشرى فشمّرنا لبرارفا

ولازم المرحوم دارهُ سنين طوالًا يشتغل بالتأليف نظمًا ونثرًا لا يأخذهُ سآمة ولا ملل حتى اشتدَّ عليهِ مرض البصر واصبح ضريرًا . فكانت لهُ هذه المحنة مؤلمة جدًا لكنَّهُ رضي بقضاء ربّهِ وصبر على بليَّتهِ صبرًا جميلًا . ومع كل ذلك كان يقرض القريض وينسج النثر ويملي منظومهُ ومنثورهُ على من يكتبهما لهُ فكانت قصائدهُ بديهيَّة شبيهة بالارتجال

وكان الخوري ارسانيوس واعظًا بليغًا وخطيبًا مصقعًا تولى مرارًا عديدة ارشاد النفوس فهداها الى سبيل الصلاح بكلامهِ المملوء رشاقة . وكان باشر الكرازة منذ تبع القاصد الرسولي لوزانا فوعظ بالعربيَّة في بيروت ولبنان . ورافق ايضًا السيد ارقوني خلف السيد لوزانا في رسالاتهِ . وكان يترجم بالعربيَّة مواعظ القاصد . ويتذكر اهل غزير الى يومنا هذا رياضةً روحيَّة كرزها السيد ارقوني مع الخوري ارسانيوس غصَّت فيها الكنائس لاستماع كلام الله وللاقبال على التوبة . ولمَّا أُصيب الخوري ببصره لم ينقطع عن القاء الوعظ للشعب وتلقين العامَّة مبادئ الدين

ومن اعمالهِ في ايام شيخوختهِ انهُ درَّس الفقه بعض الطلبة منهم المرحوم الخوري يوسف الهاني (المدعو قبل الكهنوت بنصور الهمش) الذي انتظم في سلك جمعيَّة الكريم والمرحوم الخوري لويس (عازار) زوين مؤسس مدرسة مار لويس

وكلاهما من تلامذة الاباء اليسوعيين في غزير . والمرحوم يوسف حبيب باخوس الشاعر الشهير . وكلهم برعوا تحت تدبير معلمهم الفاضل

وكان رحمهُ الله في مدَّة مرضهِ الذي دام نحو سبع عشرة سنة لا ينقطع البتة عن اقام واجباتهِ الكهنوتيَّة وكان يقرّب كلَّ يوم الذبيحة الالهيَّة الَّا انَّ شماسهُ كان يتلو الانجيل بدلًا منهُ وذلك برخصة من السيد الذكر البطريرك بولس مسعد تلميذهِ القديم وكان سمح لهُ بان يقيم لهُ معبدًا خصوصيًّا واذن لعيلتهِ ان تحضر القداس فيهِ ايَّام الاعياد ما عدا يوم الفصح

ثمَّ طعن هذا الاب الجليل في الشيخوخة فعانى مشاقَّها وقاسى اتعابها بمزيد الصبر وملازمة التجلد وكان كلَّ يوم يُعدّ نفسهُ للاقاة ربّهِ والتمتع بنظرهِ الى الابد . ولقد نظم قبل وفاتهِ بيوم واحدٍ قصيدة بيَّن فيها ما يكنُّهُ قلبهُ الطاهر من الحبّ للمسيح الهِ فكان شعرهُ اشبه بصوت المنفي المتلهِّف الى وطنهِ السماوي:

نفسي تناءت عن حماك بوزرها يا خالقي قد اسخطتك بشرّها
فيحبك الساعي انحدرتَ من السما لخلاصها وفدائها من اسرها
اذ بتَّ عريانًا ومصلوبًا على عودٍ لتكسوها ملابس برّها
يا ربّها النادي يسوع إلهنا لكمُ السجود من النفوس بأسرها
خذني اليك لكي احبك في السما حبًّا عظيمًا كاملًا في خدرها
فلاشكرنَّك ما حييتُ وان أمُتْ فلاشكرنَّك اعظمي في قبرها

ولمَّا احسَّ بدنو اجلهِ تزوَّد بالاسرار المقدَّسة وجدَّد صورة ايمانهِ معربًا عن ارادتهِ بان يحيا ويموت في حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة ثمَّ اسلم روحهُ الطاهرة الى خالقهِ في ٢٧ من تشرين الاول (١ سنة ١٨٨٣ تغمدهُ الله برضوانهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ . ولمَّا ذاع نبأهُ بكاهُ كلُّ من عرفهُ لاسيما افراد الناس والعلماء واجتمع في مأتمهِ عددٌ لايحصى من الكهنة والذوات وقُبر في كنيسة مار ميخائيل

وللخوري ارسانيوس تآليف كثيرة خدم بها العلم والدين خدمةً حسنة دونك اسماءها: ١ً شرح ديوان الحبر العلامة المطران جرمانوس فرحات . وهو شرح مطول لم يُطبع حتى الآن. ٢ً كتاب كفاية الطلاب في التصريف والاعراب وهو كتاب

١) كذا روى المصباح في هذا التاريخ . وفي الاعلامات التي أُرسلت الينا من اهلهِ انَّهُ توفي في ١٣ ت ١

مطوّل في الصرف والنحو (لم يُطبع). ٣ً قواعد اللغة السريانيّة (لم يُطبع).
٤ً روض الجنان في المعاني والبيان نُشر في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٧٦.
٥ً شرح ديوان المتنبي (لم يُطبع). ٦ً كتاب الميزان الذهبي في الشعر العربي طُبع في المطبعة العموميّة سنة ١٨٧٣. ٧ً كتاب زهر الربيع في فنّ البديع طُبع في المطبعة المذكورة سنة ١٨٦٨ وهي بديعيّة منظومة ومشروحة في مدح السيد المسيح ووالدته البتول ورسله الاطهار ابياتها ١٤٧ بيتًا ومطلعها:

فحيّ حيّ الجليل الجامع العظم وبيت لحم وآلاً قد سمت بهم

٨ً و ٩ً ولهُ بديعيّتان اخريان اثبتنا احداهما في مجموعنا المعروف بمقالات علم الادب (١: ٢٩٥ — ٣١١). والاخرى لا تزال غير مطبوعة. ١٠ً ومجموع مواعظ مختانة كان ألّفها لنفسه ولتلامذته. ومن جملة هؤلاء حضرة الاب الغيور الطيّب الذكر لويس كانوتي اليسوعي رئيس مدرسة غزير وكان يعهد الى الخوري ارسانيوس اصلاح عظاته وقد قال الخوري في مدحه يوم عيده قصيدةً مطلعها:

يا ليد قد ملانا بهجةً وسرورًا وحبورًا وجذلْ
عيد غُنراغا لويس من علا شرفًا في عيده برجْ الحملْ

وكان رحمهُ الله كثير النظم جيد القريحة غزير المادّة ينشد الشعر غفرًا دون تصنّع. وديوان شعره يُنيف على ٤٤٠ صفحة فيه القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والمواضيع الشريفة منها دينيّة ومنها علميّة وادبيّة وفي كلها من التفنن ما لا يُنكر. ولعلّ شعراء عهدنا يجدون في هذا النظم الغثّ والسمين لكنّ ذلك لا يبخس من قدر صاحبه لما ابتلي به من ضعف البصر ولكثرة ما باشر من الاشغال المتباينة. ولنا الامل ان حفيد عمه المعلم يوسف افندي الفاخوري ينقح هذا الديوان وينشره بالطبع عمّا قليل. ولولا الخوف من الاسهاب المملّ لاوردنا هنا شيئًا من القصائد التي نسج المرحوم بردتها في مدح مشاهير زمانه ووصف حوادث وطنه. وانّما نكتفي اليوم بقطعة من وصفه لجبل لبنان قالها سنة ١٨٥٤:

سقاك لبنان ربُّ الكون اضعافا صوبَ الحيا عمَّ اجراعًا واكنافا
لا زال طُورك فوق النجم مرتفعًا يقيم فوق الثريّا منهُ أظلافا
فهو من ربع راقت خمائلهُ فاقت بذلك اغصانًا وأفنانا
بالحسن متصفٍ بالظرف مؤتلفٍ باللطف ملتحفٍ قد فاق اوصافا

حكى جناناً باخضار مدبَّجة يحالها قرقفاً من كان مُهتافا
وقد غدا نزهةَ المشتاق منظرهُ اذ عمَّهُ الحسن اوساطاً واطرافا
فالرأسُ في بلَجٍ والسفح في جمجٍ والذيل في وهجٍ قد ضمَّ اسجافا

ولهُ القصائد الدينيَّة الحسنة جارى فيها الشاعرين المفلقين السيد جرمانوس فرحات والخوري نيقولا الصائغ نخصُّ منها بالذكر قصيدتهُ الالفيَّة في اثبات الدين المسيحي ومدحهُ للكنيسة الرومانيَّة وبيان رئاستها وتهنئتهُ للبابا بيوس التاسع في يوبيلهِ الاسقفي وتاريخهُ لعقيدة حبل العذراء بلا دنس الى غير ذلك. وكان يرِدُ الله ضريحهُ يكاتب العلماء والادباء. ومنهم من نظم القصائد في مدحهِ من ذلك ما اطراهُ بهِ العالم العلامة الشيخ يوسف الاسير:

اوحشتنا بالتناني ايها الخوري فانت بالفخر لا المخبَّر فاخوري
كنَّا نظنُّك من قول الوشاة سوى ما قد رأينا وما سمعٌ كمنظورِ
انَّا وجدناك حبراً كاملاً بطلاً في العلم والحلم بل في الحكم ذا النورِ
خوري ولكنَّهُ اعيت بلاغتهُ قسًّا بفضل فضالٍ غير منكورِ

وهي طويلة اكتفينا بما سبق لبيان فضل صاحب الترجمة زاد الله في ثوابهِ ونفعنا بتآليفهِ وآدابهِ

الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

وكان وجه الشمس في اثناء زيارة الشبَّان الاربعة لقصر مُونسيفور قد تبرقع بالغيوم وانتشر في السماء عارضٌ من السحب المتكاثفة ولمعت في الافق بروقٌ خاطفة. فخاف الزوار اذا خرجوا من القصر ان تدركهم الامطار في طريقهم ولا يبلغوا قريةً اخرى يبيتون فيها ليلتهم الَّا بعد العناء التامّ. فطلبوا من الحاجب ان يرخِّص لهم بان يقضوا تلك الليلة في القصر فلبى الى دعائهم بطيب القلب

ثمَّ اخذ الزوَّار يروِّحون النفس في خمائل الحديقة واستنشاق زهورها العطرة الى ان أخذهم السأم من الحديث. فعرض مورِيس دي لوساك على رفقتهِ ان يقضوا مساءهم في